



الصدفة تُعيدني إلى المنصة مُجدداً

هبة الحاق

لموقع قريتي «كفر مالك»، وافقت وعملت معهم ضمن مجموعة من رجلين وامرأتين، تابعتنا شؤون روضة البلدة من خلال زيارات ميدانية متتالية طوال العام الدراسي، وفي الفترة نفسها، عدت إلى الدراسة في جامعة القدس المفتوحة، تزامن ذلك مع تشجيع زميل لي على العمل في الروضة، وعلى مدار السنة، حاول إقناعي ولكنني كنت أرفض، إلا أن إصراره المستمر دفعني إلى الموافقة على شرط أن يعطيني فرصة أن أجرب، ومن ثم أقرر.

الليلة السابقة ليوم الدوام الأول للعام الدراسي 2011، أفكار وتساؤلات كثيرة تتزاحم في رأسي، وعلى سادتي، كيف سأتعامل مع الأطفال؟ كيف سأبرمج بين عملي وواجباتي المنزلية؟ كيف سأصرف اتجاه طفل يبكي؟ هل سأكون على قدر المسؤولية التي منحت لي؟ هل سأنجح؟ ما الذي تنتظره مني الروضة وسكان قريتي؟

مضى الأسبوع الأول وكان وضع الروضة في جميع نواحيها سيئاً، ما جعلني أطلب من رئيس النادي الانسحاب، لكنه رفض ذلك وقال «أنت قدها»، ما شكل لي حافزاً لأتابع عملي، فكانت بدايتي مع الصف البستان حيث عملت معهم مدة سنة دراسية.

انتهت السنة الأولى، وباتت السنة الثانية على الأبواب،

في هذا اليوم الرائع الذي انتظرناه أربع سنوات، باقات الورد، وعلب الشوكولاتة، وأمي بملامحها السعيدة، وأبي ينظر إلى ساعته يعد دقائقها، منتظراً تلك اللحظة التي تتوقف فيها أغنية عبد الحليم «وحياة قلبي وأفراجه» لتتطلق مكبرات الصوت معلنة بدء الاحتفال واستقبال فوج الخريجين. جسدي يرتجف، وعياني تدمعان، وقلبي يخفق، ومزيج من الفرح والفخر يصاحب صوتاً ينطق اسم أختي الكبرى، داعياً إياها لتتقدم وتستلم شهادتها الجامعية، كم حلمت وتمنيت أن أكون يوماً ما على هذه المنصة.

مرت الأيام، وما زالت تلك اللحظات تحرك في داخلي الإنسانية الطموحة، المجتهدة، التي كانت وما زالت تحب المشاركة والمبادرة والظهور في جميع المواقف الاجتماعية والمناسبات، فعلى الرغم من أنني تزوجت بعد الثانوية العامة مباشرة، لكن ما زال هناك دافع بداخلي يجري لطريق غير واضح المعالم، حيث كنت أشارك في أي فرصة تسنح أمامي، من دورات قيادة وإسعافات أولية، ودورات جندر ونوع اجتماعي، إلى مشاركات في مؤتمرات، منها مؤتمر لحقوق الإنسان بفرنسا، فاتسعت دائرة علاقتي وخرجت من قوقعتي الروتينية.

في أحد الأيام، تم ترشيحي للعمل في لجنة المرأة التابعة

انبهرت وتمنيت لو أنني كنت معهن، مع العلم أنني لم أفهم شيئاً من الطريقة التي علّمن بها، فالمصطلحات جديدة، والأسلوب لم أعده من قبل.

مرت الأيام، ودعيت مرة أخرى للاجتماع في الهلال، وصادف أن يكون الاجتماع مؤجلاً، ولكن في الوقت الذي أغلق فيه هذا الباب، كان الله قد فتح لي باباً أوسع وأجمل وأروع مما تصورت، وكان دعوات أمي كانت مستجابة في تلك اللحظات، فالمؤسسة التي ستعقد لقاء مع مربياتها في المكان نفسه، هي المؤسسة التي تمنيت أن أنتسب لدوراتها. هنا بدأ المشوار الذي لا أعتقد أنه سينتهي؛ مشوار برنامج التكون المهني لمربيات الطفولة المبكرة الذي ينفذه برنامج البحث والتطوير التربوي في مؤسسة عبد المحسن القطان.

العمل مع «القطان» جعلني أضعف العمل على تطوير ذاتي، والبحث في كل ما يتعلق بالطفولة، تعلمت الكثير ونقلته إلى أطفالي في الروضة الذين تعلمت الكثير منهم ومعهم. تعلمت أن الأطفال عالم واسع، مليء بالمعرفة، وليس، كما يقال عنه، صفحة بيضاء، وأن دوري أكبر بكثير مما توقعت، فأحببت هبة من جديد، ورأيت أن وجودها في هذا العالم هو وجود حقيقي، ولها دور حقيقي أيضاً.

روضة أطفال نادي كفر مالك-كفر مالك



جانب من تطبيقات التربية هبة القاق مع أطفال روضة نادي كفر مالك- رام الله.

